مع اطراد اتساع المقاومة ونموها واشتدادها . وقد نجحت واحدة من هذه المحاولات في تعريب تصفية المقاومة في الاردن ، وجربت اكثر من واحدة في لبنان ، الامر الذي خلق حالة في المخيمات عنوانها العريض **الدفاع** ، الدفاع ليس عن المقاومة وحقها في الوجود فحسب ، وانما الدفاع عن كل ما هو **انساني** حققته المقاومة للناس في المخيمات ، الدفاع عن الكرامة الانسانية التي استعيدت في ظل المقاومة .

ان « **الدفاع الفلسطيني** » اصبح جزءا من التركيبة الفلسطينية ، وهو شعور لا يجد تفسيره في الانسان الفلسطيني نفسه بقدر ما يوجد هذا التفسير في بعض الممارسات العربية الموجهة ضد حركة الشعب الفلسطيني وبعضها ضد قضيته عموما . وهذا الشعور يشتد كلما ظهرت دلائل تشير الى ان هذه الممارسات قد تدخل دور الاحتمال ، عندها يصبح هذا الشعور اكثر ارهافا وحدة بل يتحول الى موقع الهجوم من منطق ان الهجوم خير وسائل الدفاع .

هل يمكن تفسير حادثة الدكوانة بهذا المنطق ؟ ان تاريخ العلاقة بين المقاومة والكتائب تحديدا يجعل هذا التفسير مقبولا . ولا تحاول الكتائب ان تنفي هذا التاريخ فقد كتبت صحيفة « العمل » الناطقة بلسان الكتائب (٧/٢٠) « لم نكن مع الفدائيين على وفاق في البداية وكادت علاقتنا بهم تكون علاقة عداء » كما كتبت في ٧/٢٤ « ما كان بيننا وبين الفلسطينيين من سوء فهم متبادل ، واختلافات واحقاد أحيانا يجب ان ننساه » . غير ان هذا النسيان المطلوب لم يكن سهلا على ما يبدو ، ففي اول تجربة لهذه الدعوة الى النسيان كانت حادثة الدكوانة التي اضافت ممارسة جديدة الى مواقف الكتائب السابقة ، وفي الوقت نفسه وترت حس الدفاع الفلسطيني ، فخرجت من كونها حادثة فردية ولاسباب شخصية لتدخل في صلب نوع العلاقة بين الفلسطينيين والاوضاع العربية .

قبل أن نختتم نود ان نشير الى نوع العلاقة التي ترى الكتائب انها يجب ان تسود بين لبنان والمقاومة . في تصريح للشيخ بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب (نشرته « العمل » في ٨/١) يقول « انه من اجل المصلحة الفلسطينية ، ومصلحة المقاومة ، وبالطبع من اجل مصلحة لبنان ، يجب ان لا يكون على الاراضي اللبنانية الا سلطة واحدة مسؤولة هي السلطة اللبنانية ، ويجب ألا يكون على الاراضي اللبنانية الا دولة واحدة وجيش واحد ، وان نتعاون كلنا ، لبنانيون وفلسطينيون ، مع الحكومة اللبنانية ومع الجيش اللبناني حتى تكون المسؤوليات واضحة ومحددة ومحصورة ، فلا تكون هناك مسؤوليات ضائعة ومائعة كما هو الحال الان » . وينطلق الجميل في قوله ذلك من تصورات كتائبية توامها ما يلي : (١) ان المقاومة الفلسطينية موجودة في لبنان خلافا لارادة لبنان « بارادة الغير حشرت المقاومة الفلسطينية في بلادنا وبارادة الغير نحمل عبء القضية وأوزارها » (العمل ٧/٩) . (٢) وجود المقاومة في لبنان كان نتيجة تنازلات تدمها لبنان « قدمنا لهم الارض ، والحرية على أوسع نطاق ، والحدود احيانا وبعضا من السيادة والمغفرة عند الاساءة . ولكن هل نذكر كيف كان ذلك ؟ كان كله تقريبا تنازلات تدريجية فرضت علينا فرضا » (العمل ٧/٢٣) . (٣) وجود مناطق في لبنان غير خاضعة لسلطة الدولة وانما لسلطة المقاومة . واكثر ما يجري التركيز هنا على المخيمات الفلسطينية التي وصفها الجميل بأنها « دويلات داخل الدولة » (مؤتمر صحافي في ٨/٧ نشرته « النهار » ٨/٨) . وللكتائب رأي خاص في المخيمات فهي « متمردة على الدولة والقانون » (العمل ٨/٢) وهي « ملجأ ومخبأ لكل الخارجين على القانون » (تصريح للجميل نشرته « العمل » ٨/١) .

ان اوضاع المخيمات بالتأكيد ليست بهذه الصورة وقد أكد الجميل (تصريح ٨/٧) انه سيدخل المخيمات ليكون مع الفلسطينيين في حياتهم اليومية وليحاور الانسان الفلسطيني وليكون معه في آلامه وآماله واحساسه بالظلم ، وهذا التأكيد المقصود منه اقامة علاقة جديدة مع الفلسطينيين ولكي « تطمئن الجماهير الفلسطينية بعدما اطمأنت قياداتها » ، سيظهر المخيمات الفلسطينية على حقيقتها ليست ملجأ للخارجين على القانون وانما أماكن يمارس فيها الفلسطيني كرامته الانسانية .

عصام سخنيني